الفصل الأول

صديق الإذاعة

قرآن الثامنة وراغب غلوش

نشأت فى سنوات عمرى الأولى وأنا أرى هذه الصورة أمامى دائمًا، وكانت قبل دخول الكهرباء حيث الهدوء الآمن الذى كانت تنعم به القرى فى هذه الأيام، قبل هجوم غول الحضارة هذا الصندوق الذى تتحرك عليه الصور، فيجلس الجالسون أمامه وكأن على رؤوسهم الطير.

وكان والدى ـ رحمه الله ـ يجلس فى الصالة الصغيرة فى مقدمة البيت والباب مفتوح لمن يلقى السلام ويسند ظهره لحائط خلفه، وأنا وأمى وإخوتى حوله والراديو عن يمينه، وتأتى الساعة الثامنة فيكون فى انتظارها حيث ينتظر قارئ القرآن الذى سيقرأ على مدى نصف الساعة فى البرنامج العام، ومع دقات الثامنة والنصف تبدأ النشرة الإخبارية التى كانت من أهم النشرات الإخبارية فى اليوم. وكان أبى عاشقًا لهؤلاء القراء وكان يعرف من سيقرأ فى هذا اليوم، وكان يبدى إعجابه بالأصوات الجميلة لهؤلاء القراء فى غير تزيد، كأن يقول «الله» أو «فتح

الله عليك»، لكنه كان يقف كثيرًا عند تصوير القارئ للمعنى عن طريق الوقف والابتداء، ولم يكن قد درس دراسة متعمقة منهجية وإنما هى نوع من التفاعل الطبيعى من مسلم يحب دينه ولديه فطرة سليمة وعنده رغبة فى الوصول إلى المعنى الذى يكمن فى لفظ الآية، لذا فقد كان متيمًا بالقراء جميعًا ويعرف أصواتهم.

وكان يحب الشيخ مصطفى إسماعيل، هذا الصوت الفنان الذى يستخدم علمه فى طبقات الصوت وفى المقامات الصوتية لكى يخرج اللفظ القرآنى بشكل يناسب المعنى تمامًا، فيستخدم المقام الحزين عندما يتلو آيات العذاب أو تصوير يوم القيامة أو ذكر الكافرين والهالكين ويكون عادة مقام الصبا أو الحجاز حيث نبرات الصوت تكون أكثر تعبيرًا عن حال هؤلاء الكافرين والعاصين، وعند تصوير حال المؤمنين المتقين يستخدم مقامًا يناسب هذه الصورة كمقام العجم الذى يدل على الفخامة. وليس معنى استخدامه لهذه المقامات أن يغلب اهتمامه بالنغم على اهتمامه بنقل المعنى. ولكن الثابت والمعروف عن هؤلاء الكبار من القراء أن الواحد منهم لم يخرج عن أصول التجويد الصحيح ولا شرد فى قراءته عن المقصود من القراءة تطبيقًا لقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر»، لذلك فقد أقبل عليهم أبى فى هذه الفترة، وكانت النصف ساعة هذه ونحن حوله من أجمل الأوقات، حيث تعلمنا منه احترام سماع القرآن. ولعل التزامى بهذا المنهج بعد عملى فى مجال الإعلام الإسلامى وعدم الميل إلى البهرجة التى يمارسها البعض له أصل من هذه الصورة الوسطية المعتدلة لسماع القرآن الكريم.

ومن القراء الذين كان الوالد يُهيم بهم صوت الشيخ محمد رفعت، هذا الصوت العبقرى الذى تشعر وأنت تسمعه أنك لا تسمع صوتًا جميلًا رقيقًا شفافًا تقيًا نقيًا فقط وإنما أيضًا تسمع تفسيرًا للآيات عن طريق الوقف على الآيات والابتداء بها بشكل يلمح فى جلاء أو خفاء إلى المعنى المقصود، ثم يستخدم المقامات فى تصوير حال من تتحدث عنهم الآيات ببراعة لم يُسبق إليها ولم يأت أحد بعده يفعل فعله إلا القليل. وصوت الشيخ رفعت يأتيك لكى يستقر فى أعماق الروح الإنسانية وكأنه شفاء لها جاء من السماء لأهل الأرض، هذا الصوت العبقرى الذى مات صاحبه وقد ملأ الدنيا بصوته حاملًا إليها أعظم وأكرم كلام، مات حين مات ولم يترك فيها إلا نسخة مصحف كان قد أودعها خزينة بنك، لذا استقر حب هذا الرجل القرآنى فى قلب والدى بل قلوب كل المسلمين فى العالم.

وكان والدى يعجب كثيرًا بقوة صوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد الذى كان يهز بصوته القوى أوتار القلوب وتحس بالصدق والإخلاص عند قراءته. ويعجب أيضًا بالشيخ محمود على البنا صاحب المدرسة المتميزة فى فن التلاوة القرآنية حيث جواباته القوية، التى تحمل فى ثناياها العظة والعبرة وفى نفس الوقت تشعر بقوتها مع جمال الصوت.

وأما فى اليوم الذى كان يقرأ فيه هذا الصوت الخاشع المتبتل، الصوت الباكى كما قيل عنه، الشيخ محمد صديق المنشاوى الذى مات صغيرًا، هذا القارئ الذى أحبه والدى وكل من سمعه فى هذا الوقت وإلى الآن، لأنه كان يعيش المعنى ويعايشه ويحسه وينقله إلى السامعين كذلك، ولإخلاصه يصل المعنى كما يريد يصل وكأن السامع هو الذى يقرأ

وهو الذى يخشع. ومن وجهة نظرى وأنا أعمل فى هذا المجال أن الشيخ المنشاوى متفرد بهذه الميزة التى لا يصل إليها القارئ إلا بإخلاصه فى التلاوة، فى هذا اليوم كنت أرى الدمع فى عينى والدى رحمه الله.

أما معلم القرآن وعميد مدرسة التلاوة المتمكن العالم الورع فضيلة الشيخ محمود خليل الحصرى، فقد كان والدى يفتح معه المصحف ويراجع مع صوته الهادئ الرصين القرآن، هذا الذى كان صاحب الأوليات التى لم يُسبق إليها، فكان أول من سجل القرآن مرتلًا برواية حفص وروايـة ورش والـدورى، وأول من قرأ القرآن فى مكبرات الصوت بالحرمين الشريفين المسجد الحرام والمسجد النبوى، وتاريخ طويل فى خدمة القرآن الكريم. وقد أتيح لى أن تكون ابنته الحاجة ياسمين الحصرى ضيفتى فى برنامج سيرة ومسيرة عرفت منها هذه المعلومات عن هذا العَلم القرآنى الذى عطر أجواء الدنيا بحسن تلاوته للقرآن. هذا العَلم القرآنى تعرفت على صوته مع أبى فى هذه الفترة المبكرة من حياتى، فى هذه الأوقات التى كان فيها أبى يتقرب فيها إلى الله مثل معظم المصريين بتسليم آذانهم للراديو حيث كلام ربهم بهذه الأصوات الشجية فى مدرسة التلاوة المصرية.

ومن أكثر من أحبهم والدى من القراء كان الشيخ «راغب مصطفى غلوش»، فكان يبحث عن تلاواته فى إذاعة القرآن الكريم حيث لم يكن مدرجًا فيمن يقرأون فى البرنامج العام، وكان متيمًا بهذا القارئ الذى بدأ حياته مقلدًا للشيخ «مصطفى إسماعيل» ثم فتح مدرسته الخاصة فى التلاوة بعد أن أضاف من عنده لونًا من ألوان التجويد فى الصوت، بحيث إنه يقف باللفظ وكأنه يحنو عليه قبل أن ينطق به لسانه، فيصل هذا إلى المتلقى فيحس هذا الإحساس بالتجويد والتحسين والبراعة، ثم

هو يستخدم صوته بالهدوء المعروف عنه فيتسلل إلى أعماق النفس ساكنًا قلب المتلقى الشغوف بالمعنى. وعندما قابلته فى مسجد السيدة زينب أثناء نقلى لصلاة الفجر نقلت له هذا الشعور الذى كان يشعر به والدى ـ رحمه الله ـ تجاهه وطلبت منه أن يدعو له.. وأذكر أن والدى اشترى بعض شرائط الكاسيت للشيخ راغب غلوش وكان دائمًا مايسمعها. وعندما أفكر فى اختيار والدى أجده يدل على وجهة نظر فيمن يقرأ القرآن وعلى إرادة للذوق والرغبة فى ارتشاف معانى القرآن بهذه الأصوات الندية.

وكان الوالد يفتح الراديو فى الصباح الباكر على إذاعة القرآن الكريم، وكان عند السادسة يحول المؤشر إلى موجة البرنامج العام حيث قرآن السادسة صباحًا الذى يستقبل به المصريون يومهم، فيملأ عطر القرآن بيوتهم فى هذه الساعة المبكرة.

هذه الصورة الصباحية والمسائية طبعت فى ذهنى وفى حسى وشعورى منذ الصغر، صورة القرآن الكريم وهو يتلى صباحًا ومساءً بهذا الاحترام وذلك التبجيل وهذا الإنصات العاقل الذى لاتشوبه أعمال الصبيان التى أراها الآن حينما ننقل القرآن فى المساجد الكبرى. هذه هى الصورة التى كانت عليها مصر قبل هذا الضجيج من مكبرات الصوت فى كل مكان حتى عند تلاوة القرآن، هذه الصورة التى جعلت استقبالى للقرآن سماعًا استقبال من يريد أن يصل إلى المعنى بصوت جميل رائق مبدع بلا تفريط فيما عند القارئ من طاقة الإبداع ولا إفراط فى استخدام الوسائل التى قد تخرج الصوت عن الوقار اللازم لقراءة القرآن. عشت هذه الفترة قبل السماعات التى تخترق طبلة الأذن ولا تجد حلاوة للصوت بقدر ما تجد صوتًا عاليًا جدًّا يخرجك عن وقار القرآن وعن التدبر اللازم لسماعه، وتجد

حول القارئ مجموعة مدفوعة الأجر لتنشيط التشجيع. وقد لا يكون صوت القارئ محتاج لكل هذا ولكن لابد من هؤلاء الهتيفة والمشجعين، ولا مانع من هذا الذى يختبئ فى مكان لا تراه ليخرج بالصياح بالصلاة على النبى بشكل فيه مفاجأة لا تليق بمن يريد للسامعين أن يصلوا على الحبيب المصطفى، وإنما قصد فقط أن يلفت إليه الأنظار.

الإذاعة فى رمضان

عندما عملت فى الإذاعة تعلمت أن هناك مواسم لابد لها من التحضير والإعداد الجيد، وتذكرت فى طفولتى وبداية الصبا والشباب كيف كان القرآن فى شهر رمضان هو النجم الأول فى كل الإذاعات، ولكل إذاعة شكلها الذى تقدم من خلاله برامجها. وكان الجميع ينتظر قبل المغرب التلاوة القرآنية التى تذاع قبل مدفع الإفطار، وكنا نبحث فى الراديو عن إذاعتين: إذاعة القرآن الكريم وإذاعة البرنامج العام، وكنا نفضل البرنامج العام حيث كان بعد المدفع وأذان المغرب الذى كان علامة عليه صوت الشيخ محمد رفعت بأدائه العبقرى التاريخى الأخاذ الذى طُبع بل حُفر فى أعماق نفوسنا بعد أن نسمع هذا الصوت الشديد السريع «مدفع الإفطار إضرب». وفى نفس اللحظة كنا نسمع المدفع ينطلق من منطقة قريبة من مدينة قويسنا، ثم نعطى أسماعنا بعد صلاة المغرب لإذاعة البرنامج العام التى تذيع بعد الأذان مباشرة هذا الصوت الذى لن يتكرر، صوت الشيخ سيد النقشبندى الذى يجسد المعانى، ومازالت ابتهالاته التى يردد فيها لفظ الجلالة بشكل يأخذ القلوب والألباب تتردد أصداؤها فى قلوبنا، والتى لا أعتقد أن أحدًا أبدع هذا الإبداع كما فعل هذا الرجل عندما كان يمد فى صوته وهو يردد لفظ الجلالة:

الله الله

الله الله

الله ياألله

وكنت تحس بجلال وكمال لفظ الجلالة عندما ينطق به هذا المبتهل الذى يقف على قمة من أبدع هذا النوع من الفن والذى كان علامة على هذا الشهر الكريم. وكنا أحيانًا نسمع منه هذا الابتهال المتفرد الذى لحنه له بليغ حمدى بعد محاولات مضنية للحصول على موافقته على ذلك، والذى كان يقول فيه:

مَوّلاى إنّى ببابكَ قَد بَسطتُ يَدى..

مَن لى ألوذُ به إلاك يا سَندي؟

أقُومُ بالليّل والأسّحارُ سَاهيةٌ

أدّعُو وهَمّسُ دعائى.. بالدُموُع نَدى

بنُورِ وَجهِكَ إنى عَائذٌ وجلُ..

ومن يعد بك لن يَشّقى إلى الأبدِ..

مَهما لَقيتُ من الدُنيا وعَارِضه..

فَأنّتَ لى شغلٌ عمّا يَرى جَسدى..

تَحّلو مرارةِ عيشٍ فى رضاك..

ومَا أُطيقُ سُخطًا على عيشٍ من الرَغَدِ..

مَنْ لى سِواك؟!.. ومَنْ سِواك يَرى قلبي؟!

ويسمَعُه كُلُ الخَلائِق ظِلٌ فى يَدِ الصَمدِ..

أدّعوكَ يَاربّ فأغّفر ذلَّتى كَرم..

وأجّعَل شَفيعَ دُعائى حُسنَ مُعْتَقدّي

وأنّظُرْ لحالى.. فى خَوّفٍ وفى طَمعٍ..

هَلّ يَرحمُ العَبّد بَعْدَ الله من أحدٍ؟

مَوّلاى إنّى ببابكَ قَد بَسطتُ يَدى..

مَن لى ألوذُ به إلاك يا سَندي؟

وبعد الشيخ سيد النقشبندى كنا نستمع إلى المسابقة التى كانت تقدمها الإذاعية الكبيرة آمال فهمى، وعادةً ما تكون عن شىء متعلق بالفن والفنانين أو شىء متعلق بالتاريخ وخاصة تاريخ مصر، ويظل أفراد الأسرة يتناقشون ويسمعونها مرة أخرى، ويدلى كل واحد منهم بدلوه فى الموضوع ويقترح إجابة للسؤال، ولم نكن ممن يحرص ككثير من الناس على إرسال الإجابات ولكن كنا نكتفى بحل السؤال كل يوم، ويكون ذلك نوعًا من الترفيه وتشغيل العقل والفكر بعد صيام اليوم.

ثم يجلس الجميع لسماع المسلسل الذى كان معظم المصريين يتابعونه، حيث كانت الدراما الإذاعية فى هذا الوقت فى عصرها الذهبى، فكنا نسمع مسلسل ألف ليلة وليلة الذى يحكى كل ليلة حكاية من حكايات شهرزاد وشهريار، وكانت تمثل صوت شهرزاد المبدعة الفنانة زوزو نبيل التى كانت تنقل المستمع إلى أعماق حكايات ألف ليلة وليلة حيث صوتها المعبر وأداؤها الرائع: جاءنى أيها الملك السعيد.. ذو الرأى الرشيد. ثم

تبدأ فى حكاية ما تريد أن تحكيه فى هذا المسمع الدرامى شديد الجذب لمن يستمع إليه، وفى نهاية المسمع يخرج صوت شهرزاد لكى تعد الملك بأن تحكى له قصة جديدة.

وبعد ذلك نستمع إلى المسلسل الفكاهى «سيد وحرمه فى رمضان» الذى كان يقدمه الفنان الكوميدى سيد الملاح، وكان يتناول العلاقة بين الزوج والزوجة وكيف يمكن حل مابينهما بأسلوب كوميدى خفيف. ثم يأتى دور المسلسل الاجتماعى الذى كان يحمل العبر من حياة الناس من خلال عرض قصة كالتى يعيشها الناس فى حياتهم، وأذكر من هذه المسلسلات مسلسل «نحن لانزرع الشوك» وكانت رواية من أهم روايات يوسف السباعى التى يجسد مأساتها صوت الفنانة شادية.

بعد ذلك يتجهز الجميع لصلاة العشاء والتراويح التى كنت حريصًا عليها مع والدى فى المسجد. وعند السحور كنا نفتح الراديو مرة أخرى حيث نستمع لقرآن الفجر الذى يذاع على موجتى البرنامج العام والقرآن الكريم. وبذلك تبدأ ساعة الإفطار بالإذاعة وتنتهى ساعة السحور قبل صلاة الفجر بالإذاعة..

هكذا كانت الإذاعة فى هذا الوقت وفى هذا الشهر خاصة، تجسد الإعلام المحترم الهادئ الرصين والمفيد، الذى يذيع القرآن قبل المغرب فى هذا الجو الإيمانى الذى ينتهى فيه يوم لعبادة الصيام، التى يناسبها تذكير الناس بالنعم وتذكيرهم بالعظات والعبر من خلال أصوات كبار القراء تحمل ألفاظ ومعانى القرآن بتجويد صحيح وإبداع فنى رائع. وبعد الأذان تقدم وجبة ثقافية واجتماعية وترفيهية متكاملة، يتهيأ فيها المستمع بعد أن مر وقت على فطوره لصلاة العشاء.

وماهى إلا سنوات قليلة حتى هجم التليفزيون على هذا الهدوء بمواد ألهت الناس عن جلال شهر الصيام، بل جعلت الناس فى تخمة ليس من الطعام ولكن من مواد تصيب بالكوليسترول النفسى الذى يسد شرايين النشاط الإنسانى، فيقعد الصائم أمام هذا الصندوق الذى لا يطرح فى هذا الشهر إلا فوازير وفنانين وفنانات ومطربين ومطربات، وتلاشت معه حلاوة السماع الإذاعى. لقد أصبح القليل من الناس يحرصون فى رمضان على متابعة هذا الصندوق الخشبى الصغير الذى تنطلق منه أصوات مختلفة تنتهى عباراتها:..... من القاهرة، حيث كل إذاعة من الإذاعات تعلن شعارها من القاهرة عندما كانت القاهرة الكعبة التى يطوف حولها العرب جميعًا.

صديق الإذاعة

هى أقدار الله التى تمهد لحياتى فى كثير من مواقفها وأحوالها، ولعل هذا فضل من الله على مثلى، فمنذ طفولتى وأنا مغرم بالإذاعة وبما تقدمه، وكأن القدر كان يُعدُّنى لأمر ما فى هذه المهنة العريقة وإن بدا هذا للوهلة الأولى من المستحيل، ولكن كيف يكون مستحيلًا وقد قضى به الله واقعًا تراه الناس اليوم أمام أعينها. لقد كان بينى وبين الراديو صداقة قوية، فمنذ الصغر كان الراديو يمثل لنا المجتمع بأكمله، حيث نعتمد عليه فى الحصول على الأخبار التى بدأنا نهتم بها من خلال نشرات الأخبار المعروف مواقيتها، والتى ينتظرها معظم الناس فى الثانية والنصف ظهرًا والثامنة والنصف مساءً، حيث هذه الأصوات التى اعتاد عليها الناس وعرفوها من أمثال «الرواد صبرى سلامة وعبد العال هنيدى

وصالح مهران وغيرهم». وكأن المطرب محمد قنديل فى أغنيته الشهيرة «ع الدوار» التى كتبها حسين طنطاوى ولحنها أحمد صدقى يعبر عن هذه الفترة وعن احتلال الراديو المكانة الأولى، ويعبر أيضًا فى هذه الأغنية عن أن المهمة الأولى للراديو كانت نقل المعلومة والخبر:

ع الدوار عالدوار، راديو بلدنا فيه أخبار
ع الدوار ع الدوار
ياللى فى قاعه ياللى فى خص، قوم دى الساعه تمانيه ونص
والراديو عمال بـيرص
فى الأخبار قلبك يتهنى، كنا فى نار وبقينا ف جنه
واللى ظلمنا بقى فى النار، ع الدوار ع الدوار
من يوم جيشنا ما شن الغاره على عزالنا بكل جساره
واحنا يوماتى تجينا بشاره
الجرانين بترد الروح، وتداوى القلب المجروح
خير جيلنا بالقنطار، ع الدوار ع الدوار
طاقة القدر شافتها عنينا، والدنيا دى بقت فى أيدينا
واللى خلقنا فرجها علينا

هذا بالنسبة للمشهد العام الذى كان عليه الناس فى هذا الوقت، أما أنا فقد كنت «سميعًا» للإذاعة، أتابع كل الإذاعات ولى مع كل واحدة منها بعض المواد الإذاعية التى لابد أن أتابعها فى مواقيتها ولا أترك منها شيئًا أبدًا. لعل هذا شكّل عندى بعد ذلك ذوقًا ورأيًا فيما يمكن أن يكون له التأثير الأكبر عند إذاعته من خلال هذه الخبرة التى اكتسبتها من هذا الكم من المواد الإذاعية من أعلام الإذاعة فى هذا الوقت. لقد كان لكل

إذاعة من الإذاعات المختلفة مذاقها الخاص الذى تقدمه حسب طبيعتها، وكنت دائمًا على الموعد مع هذه البرامج وهؤلاء المذيعين الذين كنت صديقًا لهم من خلال الإذاعة دون أن نلتقى وجهًا لوجه.

وكانت الإذاعة التى تحظى عندى بالنصيب الأكبر هى إذاعة القرآن الكريم، لأننى كنت متابعًا للخمسة الكبار من الذين يقرؤون المصحف المرتل، وكنت أتابعهم لأننى كنت فى هذا الوقت أحفظ القرآن الكريم فكنت أراجع على أصواتهم ما أحفظه، وكان لى مع كل واحد منهم رباط من المحبة لصوته ولطريقة أدائه، وكنت مغرمًا بطريقة «الشيخ المنشاوى» الخاشعة فى المصحف المرتل والذى حفظت من متابعته بل وراجعت كثيرًا مما كنت أحفظ من القرآن الكريم.

وكنت مغرمًا بأصوات المذيعين فى إذاعة القرآن الكريم مثل «الدكتور فوزى خليل» الذى كان يقدم برنامج «قبس من نور النبوة» هذا البرنامج الذى يقدمه الدكتور فوزى بصوته الهادئ فى تمكن من اللفظ ومن الحروف حيث إلقاؤه المناسب للمعنى تمامًا، ومستوى الصوت الذى تحس أنه موزون على ميزان المعانى التى تحتملها الألفاظ، فالبرنامج حديث مباشر فى عشر دقائق يتناول فيه حديثًا من أحاديث النبى ﷺ من حيث اللغة والمعنى وما يحويه الحديث من علوم فى مجال من المجالات، كمجال ترسيخ القيم ومجال التربية أو التعليم أو مجال الفقه أو غيرها من المجالات. وكان الدكتور فوزى خليل لقدراته المبدعة يقدم برنامجًا حواريًا كان هو البرنامج الأول فى هذا المجال وهو برنامج «شخصيات إسلامية وراء الميكروفون» حيث كان يجرى حواراته مع المفكرين والقراء والمبتهلين، فيتناول السير الذاتية لكل منهم، وكان البرنامج يُعتبر إحدى

العلامات فى إذاعة تهتم بالقرآن الكريم وبالفكر الإسلامى، وسمعت فيه حلقات رائعة مع كبار القراء فى هذا الوقت، وله لقاء فى هذا البرنامج مع القارئ الشيخ عبد الباسط عبد الصمد ومع المبتهل نصر الدين طوبار يعتبران من أهم اللقاءات فى هذا البرنامج التوثيقى، وكان يستضيف كبار المفكرين فى هذا الوقت. هذا البرنامج كان لى شرف إحيائه ببرنامج أقدمه الآن بعنوان «سيرة ومسيرة»، نفس الفكرة لكن يزيد عليها الاهتمام بمؤلفات الضيف وكتبه وإنتاجه العلمى والفكرى، وأن يكون معظم الضيوف من المفكرين على اختلاف توجهاتهم.

ومن برامج إذاعة القرآن الكريم التى كانت لها وقع كبير عند الناس فى هذا الوقت تلك التى كان يقدمها الرائد الإذاعى الدكتور «عبد الخالق محمد عبد الوهاب» بعنوان «من بيوت الله»، التى يقرأ فيها واحد من أعلام القراء تلاوة من القرآن ثم يعلق على هذه التلاوة أعلام الفكر الإسلامى فى هذا الوقت، حيث كنا نستمع إلى الشيخ محمد الغزالى والشيخ الدكتور محمد الطيب النجار والدكتور محمد بن فتح الله بدران بصوته الجهورى القوى. وكانت هذه اللقاءات فى هذا الوقت تحظى بنسبة استماع عالية جدًّا.

وكان هناك أعلام فى هذا الوقت من الإعلاميين؛ أمثال الدكتور «كامل البوهى» الذى كان يقدم برنامج «أمة الإسلام» والدكتور «على طبوشة» الذى كان يقدم برنامج «سفراء الإسلام» حيث يجرى حوارًا مع واحد ممن يدعون إلى الله فى الخارج أو هؤلاء الذين يزورون مصر من الدعاة الأجانب، ولا أنسى له لقاءً مع الدكتور «مزمل صديقى» رئيس المجلس الفقهى الإسلامى بأمريكا الشمالية، حيث تحدث الرجل عن

الإسلام فى أمريكا وكيف يمكن فهم الإسلام كدين صالح لكل زمان ومكان فى هذا المجتمع، وقد كان لهذا البرنامج أثره البالغ فى تعريف الناس بهذه النماذج الدعوية فى الداخل والخارج.

لكن كانت هناك ـ ومازالت ـ البرامج التى يقول فيها مقدم البرنامج كلمتين فى بداية البرنامج ثم يتكلم الضيف حتى آخر الحلقة حيث ينهى مقدم البرنامج الحلقة كما بدأها بكلمتين دون أن تكون له بصمة ظاهرة فى دفة البرنامج الذى يجب أن يكون هو موجهه.

هذا بالنسبة لإذاعة القرآن الكريم. أما الإذاعات الأخرى فكنت متيمًا بالبرنامج الثقافى، حيث المسرحيات العالمية والبرامج التى تتناول الشعر والموسيقى التى كنت أحيانًا أستمع إليها وخاصة عندما تكون هادئة دون أن أنفق الوقت فى تقصى المعلومات عن هذا المجال. وكنت صديقًا لبعض المذيعين والمذيعات فى مختلف المحطات الإذاعية التى كانت تشكل برامجهم وأصواتهم علامة فى الإذاعة المصرية.

أما إذاعة البرنامج العام، فكنت أعتبرها صالة التعليم الكبرى عن طريق الراديو والتثقيف والترفيه أيضًا منذ كنت صغيرًا، وممن كنت أنتظر برامجهم فى البرنامج العام هذه السيدة التى عشقناها صغارًا لروحها التى كانت تأتلف معها أرواحنا الصغيرة، «أبلة فضيلة».. لأنها كانت تحمل الصدق فى كل كلمة وتحمل معه حكاياتها التى تدعو إلى كل مايؤسس للتربية الصحيحة السليمة، ولايمكن أن أنسى كلمات هذه الأغنية المبدعة التى كانت شعارًا لبرنامجها والتى كانت تنقله إلينا طفلة بصوتها الذى نقبله كأطفال وكأننا نحن الذين نغنى:

ياولاد ياولاد
تعالوا تعالوا
علشان نسمع أبلة فضيلة
راح تحكى لنا حكاية جميلة
وتسلينا وتهنينا
وتذيع لينا كمان أساميا
أبلة... أبلة فضيلة

ثم يأتينا صوتها الذى يفتح عندنا كأطفال مكامن الاستقبال التى تستقبل هذا الصوت الزاخر بالحنان المملوء بالعطف الذى يحترم عقل طفل فى سنه الصغيرة، ولا يمكن أن أنسى مقدمتها البسيطة الجميلة المشحونة بالود التى تشتمل على الترحيب بكل من يسمعها وبالتذكير بالصلاة على النبى، ثم تبدأ الحكاية التى تكون درسًا فى التربية أو الأخلاق أو فى التعليم أو فى الترفيه بصوتها الطفولى الجميل: وكان يا ما كان.. يا سعد يا إكرام.. ولا يحلى الحديث والكلام إلا بذكر النبى عليه الصلاة والسلام.

وعندما رأيتها فى بداية رحلتى الإذاعية فى معهد الإذاعة والتليفزيون وجدتها هى التى كنت أسمعها بصوتها وأدائها وروحها الجميلة والحب الذى امتلأ به قلوب كل من عرفوها، هذه الرائدة الإذاعية التى كانت تحمل قلب طفلة ببراءتها وعقل سيدة وقور طيبة تسع كل هذا العالم ببراءتها وطيبتها، أمد الله فى عمرها.

وأما البرامج الثقافية فكنت أنتظر «عمر بطيشة» فى برنامجه الذى كان موعده الأسبوعى الأحد فى الثانية عشرة إلا الربع مساءً، وكان يستضيف فى هذا البرنامج الأعلام فى جميع المجالات. ففى مجال الفكر الإسلامى

كانت له حلقتان مع المعمارى الكبير المهندس حسن فتحى الذى قرأت له كتابه «عمارة الفقراء» والذى يعتبر من أهم الكتب التى غيّرت مفاهيم العمارة البيئية حول طبيعة هذا النمط من العمارة والذى ارتبط زمنا طويلًا بالقرى وسرده للعديد من التجارب خصوصًا تجربته الشهيرة بقرية القرنة، والتى دوّن تجربته فيها عبر هذا الكتاب؛ حيث يستخدم الطوب اللبن والموارد المتاحة بالتعاون بين أفراد المجتمع كما تحدث فيها عن الاغتراب وكيف أثر على العمارة وكذا ضرورة أن نتمسك بالأصالة، فكانت من أجمل ما قدم من حلقات. وكذلك حلقته مع الشيخ محمد متولى الشعراوى التى أذكر أنه قدمها بقوله: «يكفى أن أقول إنه إمام العصر الذى تألفت حوله قلوب وعقول الملايين، والمفكر المجدد الذى اتحد المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها فى الالتفاف حوله فى حين تفرقهم المذاهب والسياسات» وأبدع الشيخ الشعراوى كمفكر كبير فى هذه الحلقات. وأتذكر حلقته الرائعة مع أنيس منصور، بروعة فكر أنيس منصور، الذى أذكر سؤاله له «أنت بدأت وجوديًا ثم عدت لحظيرة الإيمان فهل تنصح الشباب أن يفعلوا كما فعلت أنت»؟ أجاب أنيس منصور وقتها بما يفيد أن المحاور لم يقرأ كتبه، إذ إن هناك نوعين من الوجودية وجودية مؤمنة تعترف بالإله ووجودية لا تعترف بوجود إله، ولأننى حفظت القرآن صغيرًا ومن بيت يحترم القيم الإسلامية فقد تحدثت عن الفلسفة الوجودية التى لاتصطدم مع الدين. وحلقته مع الدكتور مصطفى محمود هذا الطبيب والمفكر والكاتب والمبدع... كانت حلقات رائعة مازلت أذكرها.

وكذلك برنامج زيارة لمكتبة فلان، والذى كانت تقدمه «نادية صالح»

وكانت تنتقل بين الكتب فى مكتبة الضيف، ومازلت أذكر ضيوفها الذى كان كل منهم يمثل قيمة فكرية أو علمية أو دينية، مثل المفكر والفيلسوف زكى نجيب محمود والأديب الكبير يحيى حقى وشيخ الأزهر الأسبق الذى كان وقت استضافته مفتيًا للديار المصرية الدكتور محمد سيد طنطاوى. وكانت اللقاءات فى هذا البرنامج عرضًا للمكتبة ومن خلالها يعرض الضيف لاهتمامته الفكرية والأدبية والعلمية حسب تخصصه.

وكنت من الذين يهيمون بـ«صبرى سلامة» وصوته الجاد المعبر الذى نسميه صوت «القرار» الذى يأتى من الأعماق، وخصوصًا عند قراءته لنشرة الأخبار أو برنامجه القصير «ع الماشى» الذى كان مادة لتعليم كيف يكون الحديث المباشر وكيفية نطق الحروف والكلمات فى العبارة وكيف تبدأ وكيف تنتهى.

ومن هذه الفئة الرائعة الرائد الإذاعى الكبير «فهمى عمر» الذى كانت تنتظره مصر كلها حين يعلق على مباريات الكرة، وكان وهو يعلق بصوته ذى البحة الرائعة المتميزة وسرعته المحسوبة ومشاعره التى تحملها الكلمات تظهر زملكاويته العتيدة. هذا فى البرنامج العام.

وعلى موجات صوت العرب كنت أنتظر «حديث الذكريات» والهادئة الوقورة ذات الصوت الهادئ «أمينة صبرى»، والحوار الرشيق الذى يناسب الذكريات، والتى كان ضيوفها من مصر والدول العربية. وكان هناك برنامج أقرب إلى هذه الفكرة وفى صوت العرب أيضًا، وهو برنامج «أضواء على الجانب الآخر» وكانت تقدمه الرائدة الإذاعية «نجوى أبو النجا» ولكن بصوت مختلف تمامًا عن زميلتها «أمينة صبرى»، حيث كان صوتها عريضًا وقويًا وذا نبرة مقتحمة وكانت أسئلتها قوية، وأذكر من

حلقات برنامجها حوارها مع العالم الكبير الشيخ أحمد حسن الباقورى حين قال فى بداية الحلقة «بُرنامج» بضم الباء فسألته، فقال إننى أفضل أن أنطقه بهذا الشكل ولو أننى لم أطلع على أصله اللغوى ولكنى أفضل نطقه كذلك!

أما إذاعة الشرق الأوسط، فكنت أتابع برامج الإذاعية الكبيرة «إيناس جوهر» وكنت أتابع كل ما تقدمه مع الإذاعى الكبير «محيى محمود» فى برنامجهم «تسالى»، الذى كان يبدأ برباعية لصلاح جاهين الذى حرت فى أمره، وكنت أسمع له كلامًا متضادًا! هل الذى يطرح هذا المعنى بهذه الكلمات الخفيفة:

غمض عينيك وارقص بخفة و دلع
الدنيا هى الشابة وأنت الجدع
تشوف رشاقة خطوتك تعبدك
لكن أنت لو بصيت لرجليك.... تقع
عجبى!!!

هو نفسه الذى يطرح هذا المعنى بهذه الكلمات الناطقة الموحية شديدة العمق فى هذه الرباعية:

مرغم عليك يا صُبح مغصوب يا ليل
لادخلتها برِجْليَّا ولا كانلى ميل
شايلنِّى شِيل دخلت أنا فى الحياة
وبكره ح اخرج منها شايلِّنى شِيل
عجبى!!

وهو نفسه الذى يقول هذه الرباعية السياسية التى كانت محلًا للتساؤل وقتها:

يا طير يا طاير فى السما طز فيك
ما تفتكرش ربنا مصطفيك
برضك بتاكل دود وللطين بتعود
بتمص فيه يا حلو، ويمص فيك.
عجبى!!

وهو نفسه هذا الذى يقول هذا الكلام الرائع:

بالأحضان...
يا حصاد الثورة يا حلم وعلم...
بالأحضان يا جنايـن.. يا مداين..
بالأحضان...
يا اللى أنت بترفع راية السلم...
نـور عينـى وحبايـى،
وعزاز قوى على قلبى،
يا اللى على الجرار، وقصاد لهاليب الصلب
يا سواعد عربية،
ونفوس حرة أبية،
يحميكم، وتدوم الهمـة، ويحيا الشعـب!
وبالأحضان!..

لكن يزول العجب عندما نعلم أن صلاح جاهين هو الذى كتب قصيدة صورة التى غناها عبد الحليم حافظ وقصائده الوطنية الرائعة بإبداعه المعروف عنه، وهو ـ ياللعجب ـ الذى كتب أيضًا «زوزو النوزو كونوزو»، ولعل هذه الشخصية فيها كل هذا الإبداع وكل هذا الجنوح فى الإبداع.

نعود إلى «إيناس جوهر» و«محيى محمود» فنجدهما يلقيان على أسماعنا بطريقة رشيقة وخفيفة وجبة من المعلومات السريعة، قد تكون تاريخية أو علمية أو خاصة ببلد ما، مستخدمين الموسيقى كخلفية تشعرك أنك تطير معهما، كنت من متابعى هذا البرنامج. والغريب أنه بعد هذا البرنامج كانت إيناس جوهر تقرأ موجز الأنباء، فتجد نبرة الصوت قد اختلفت تمامًا فارتدى ثوب الجدية، وأن اللغة العربية السليمة قد استقامت، وهذه قدرة لايستطيعها إلا من علم أسرار العمل الإذاعى؛ كيف يطوع صوته للمادة الإذاعية التى يلقيها.

وممن كنت أنتظرهم فى إذاعة الشرق الأوسط هذا الصوت المتبتل العجيب، الذى كان يلفك بخشوعه ويتحفك بأدائه وينقل إليك الكلمات وكأنها طريق النجاة، فتغذوك المشاعر من خلال نبرات صوتها الدافئ «مديحة نجيب» فى برنامجها «أبواب السماء» وبمقدمته الرائعة بصوت أحد الإذاعيين الكبار والتى كنا نحاكيها ونرددها:

يا ربي
وهبت لنا نعمة الحياة
تتجدد مع مشرق شمسك
وأيقظتنا هذا الصباح على حبك وعبادتك
اللهم فافتح لرجائنا رحابك
ولدعائنا أبواب السماء

وكانت «مديحة نجيب» تتناول فى برنامجها موضوعات متعددة عن سيرة الرسول الكريم أو عن المناسبات الإسلامية المتعددة كالإسراء والمعراج أو دخول رمضان فى خمس دقائق، تستطيع من خلالها أن تعطى معلومة بصوتها المعبر عما تريد التحدث فيه.

بقيت إذاعة أخيرة كانت نافذتى فى سماع الفن الجميل، وهى إذاعة كانت تسمى إذاعة أم كلثوم، هذه الإذاعة كانت تبدأ مع دقات الخامسة بعد العصر وتغلق أبوابها فى العاشرة مساء، وكانت تذيع الدرر الفنية من الأغانى القديمة لجميع المطربين، تفتتح وتنتهى كل يوم بأغنية لأم كلثوم، فكنت أنا وجيلى كله أصدقاءً لهذه الإذاعة التى كانت تهذب المشاعر بالفن الجميل. فسمعنا فيها لأول مرة لعبده السروجى أغنيته الشهيرة «غريب الدار»، والتى عندما أسمعها وأنا مهموم كنت أبكى. وللفنان محمد عبد الوهاب استمعنا إلى أغانيه القديمة والحديثة، وخاصة عندما كان يتغنى بقصائده الرائعة التى كتبها أساطين الشعر فى ذلك الوقت كقصيدة الجندول التى كتبها الشاعر العبقرى على محمود طه:

أين من عينى هاتيك المجالى، ياعروس البحر، ياحلم الخيال
أين عشاقك سمار الليالى، أين من واديك يامهد الجمال
موكب الغيد وعيد الكرنفال، وسرى الجندول فى عرض القنال
بين كأس يتشهى الكرم خمره
وحبيب يتمنى الكأس ثغره
التقت عينى به أول مره
فعرفت الحب من أول نظره

أو قصيدته «أخى جاوز الظالمون المدى» التى كانت تلهب حماسنا والتى كان يبدع محمد عبد الوهاب فى أدائها والتى كان مطلعها:

أخـى، جـاوز الظالمون المـدى فحقَّ الجـهـادُ، وحـقَّ الفـدا
أنتركهُمْ يغصبونَ العُروبـةَ مجـد الأبـــوَّةِ والـســـؤددا؟
وليسوا بِغَيْرِ صليلِ السيـوفِ يُجيبونَ صوتًا لنا أوصـدى

فجرِّدْ حسامَكَ من غمــدِهِ   فليس لــهُ، بعدُ، أن يُغمــدا

وفى هذه الإذاعة تعرفنا على صوت أم كلثوم وعشقناه، وكنت ممن يدونون القصائد التى كانت تغنيها، كقصيدة الفارس الأبى الشجاع أبى فراس الحمدانى الذى صادقته بعد ذلك فى محنه الكثيرة من خلال قراءتى لسيرة حياته وشعره الذى يمتلئ شجاعة وشهامة، وهذه القصيدة التى كانت أم كلثوم تحس كلماتها ثم تلقى بها فى نفوس كل من يسمعها فكأنها تريد أن يشارك كل من يسمعها هذا الفارس الشجاع أشواقه:

أَرَاكَ عَصِيَّ الدّمعِ شِيمَتُكَ الصّبرُ   أما للهوى نهيٌّ عليكَ ولا أمرُ؟

بلى أنا مشتاقٌ وعنديَ لوعةٌ   ولكنَّ مثلى لا يــذاعُ لــهُ سرُّ!

إذا الليلُ أضوانى بسطتُ يدَ الهوى   وأذللتُ دمعًا منْ خلائقهُ الكبرُ

تَكادُ تُضِيءُ النّارُ بينَ جَوَانِحِي   إذا هيَ أذْكَتْهَا الصّبَابَةُ والفِكْرُ

معللتى بالوصلِ، والموتُ دونهُ،   إذا مِتّ ظَمْآنًا فَلا نَزَل القَطْرُ!

حفظتُ وضيعتِ المــودةَ بيننا   وأحسنَ، منْ بعضِ الوفاءِ لكِ، العذرُ

وأما قصائدها الإسلامية فكنت أهيم بها، لدرجة أننى كتبت قصيدة محمد إقبال «حديث الروح» وكنت أرددها كثيرًا لما فيها من معان رائعة التى ترجمها عن الأوردية الشاعر الأزهرى الصاوى شعلان، والتى تنتهى بهذا الختام الرائع:

إِذَا الأيِـمَانُ ضَـاعَ فَـلَاَ أَمـاَنُ   وَلَاَ دُنْـيَـا لِمَـنْ لَمْ يُحْـيِّ دِيْنَا

وَمَـنْ رَضِيَ الحَيَاةَ بِغِيْرِ دِيْنٍ   فَقَدْ جَعَلَ الفَنَاءَ لَهَـا قَرِيْنَ

وَفِي التَّوْحِيدِ لِلْهِمَمِ اتِّحَادٌ   وَلَـنْ تَبْنَوا العُلَىَ مُتَفَرِّقِيْنَا

أَلَمْ يُبْعَثْ لِأُمَتِكُمْ نَبِيٌ يُوَحِّدُكُمْ عَلَى نَهْجِ الوِئَام
وَمُصْحَفِكُمْ.. وَقِبْلَتِكُمْ جَمِيْعًا مَنَارٌ لِلْأُخُوَةِ والسَّلَامِ
وفوقَ الكلِّ رَحْمَنٌ رَحِيْمٌ.. إلهٌ واحِدٌ.. رَبُ الأَنَامِ

وهذه القصيدة الخالدة لعمر الخيام، التى يصور فيها من أنفق حياته فى اللهو والبعد عن طريق الله ثم جاء تائبًا إلى مولاه، هذه القصيدة «رباعيات الخيام» التى حفظتها عن ظهر قلب فى هذه السن الصغيرة التى أبدع فى نقلها من الفارسية شعراء وأدباء كثر، منهم أحمد زكى أبو شادى وعبد الرحمن شكرى وإبراهيم المازنى وعباس العقاد والشاعر الكبير أحمد رامى الذى غنت له أم كلثوم ترجمته للقصيدة، التى تنتهى بهذا الختام الذى يقف فيه صاحب القصيدة متمسكًا بالتوحيد للخلاص والتوبة:

إن لم أكن أخلصتُ فى طاعتك
فإننى أطمُع فى رحمتك
وإنما يشفُع لى أننى
قد عشتُ لا أشركُ فى وحدتك
تُخفى عن الناس سَنَى طلعتك
وكل ما فى الكون من صنعتك
إن تُفصَل القطرةُ من بحرها
ففى مداه منتهى أمرها
تقاربت يا رب ما بيننا
مسافُة البعدِ على قدرها
يا عالَمَ الأسرار علم اليقين

يا كاشفَ الضر عن البائسين
يا قابل الأعذار، عدنا الى ظلك
فاقبل توبة التائبين

كانت هذه الإذاعة سبيلنا إلى فن جميل بكلمات شاعرية رصينة وبليغة وأصوات ممتلئة بالمشاعر والحس المحترم، من الفنانين الذين أثروا بفنهم اللغة العربية وأضفوا عليها جمالًا ورونقًا وألقًا، لذا عندما هجم هؤلاء الذين ملأوا أسماعنا ضجيجًا وضيقوا علينا حياتنا بما حملوه من بضاعة لشيء لايعبر عنا ولا عن قيمنا العربية ومازالوا يرقصون بكلماتهم التى تصف الرموش والعيون والخواصر، والصور التى تتحرك كأنها عفاريت البشر، وترى الأصوات التى تدهسها نغمات الموسيقى الصاخبة، وتعدم مع كل هذا الصخب الفن الأصيل. كانت هذه الإذاعة من أهم ما جعلنا نكشف هذا الزيف الذى يسمونه زورًا فنًا.

وهكذا كنت صديقًا لهذا الصندوق الخشبى الصغير، الذى يُخرج كل هذه الدرر الصوتية من أفواه البشر، لكى تمر بأذنى إلى عقلى وقلبى. أسمع جميع الإذاعات، من إذاعة القرآن الكريم الذى يتلى آناء الليل وأطراف النهار، إلى برامجها التى تركت فى نفسى أثرها البالغ المتدفق، إلى إذاعة البرنامج العام وبرامجها التى سمعت فيها أسس الفن الإذاعى فى الحوار والمناقشة، إلى إذاعة الشرق الأوسط ببرامجها الخفيفة التى تحمل المعلومة بطريقتهم ومدرستهم فى الفن الإذاعى، إلى إذاعة صوت العرب برصانتها وأصالتها وبرامجها التى توجَّه للعرب جميعًا وبرامجها التى تتميز بتوجهاتها القومية والعربية، إلى إذاعة البرنامج الثانى بمسرحياتها العالمية وبرامجها فى الشعر والموسيقى.

كل هذا أصبح لى ذخرًا لما خبأته لى أقدار الله سبحانه وتعالى مما لم يخطر لى يومًا ببال؛ أن أكون واحدًا ممن عشت معهم وعايشت أصواتهم سمعتها ووعيتها قبلت منهم ورفضت، تعلمت أن يكون لى رأى فيما يقدمون، لكننى أحببتهم جميعًا وصادقتهم جميعًا من خلال موجات تحمل إلىَّ أرواحهم من خلال الميكروفون الذى يرسل الصوت عبر موجات الهواء، لذا عندما دخلت إلى عالمهم كان لى الاختيار، الذى رأيت أنه يناسب قدراتى وتتحمله نفسى ويتوافق مع ثقافتى ووعيى ويتلائم مع تربيتى التى نشأت فيها مرتبطًا بقيم تأصلت داخلى وتجربة أنتجت عقلًا وقلبًا بسمات خاصة، أصلها وأساسها دين نشأت على التدين به والتزام شرائعه وعباداته وأخلاقه، مع عقل يبدو أنه مفتوح بفعل الظروف والأحداث التى مرت فى الدروب والطرق والأزقة الضيقة مع البشر فى هذه الحياة المختلفة عن حياة كثير من الناس.

لذا فقد اخترت إذاعة القرآن الكريم لتكون لى بيتًا، ولأرسل منها صوتى إلى العالم، أنقل له قيم هذا الدين العظيم بإعلام يحترم عقل المستمع ولكى أكون خادمًا لهذه المقررات الإسلامية التى تحتاج لمن يرسلها بصورة صحيحة وعصرية إلى العالم، دون إفراط فى التشبث بزمن معين قد لا تصلح أحكامه لزمان نعيش فيه أو الوقوف عند النص الحرفى دون المضمون والهدف والمرمى من النص، أو تفريط فى الأسس التى نستقى منها هذا الدين بحيث يصبح النص وكأنه معدوم وتحل أهواء الناس فى تفسيره وتصبح الفلسفات الوضعية بديلًا عن الدين. وهكذا كان قرارى الذى اتخذته أن أكون صوتًا من أصوات إذاعة القرآن الكريم، يقف وراءه أمل فى أن يعانق آذان مستمعيه فى مصر والعالم، لكن

هل تستجيب عقول البشر لمثلى أن يعيش كما يعيش غيره؟ وهل تتاح له فرصة إثبات الذات؟ وهل تفتح له الإذاعة أبوابها بسهولة؟ أم أنه نقش جديد فى حجر جديد من أحجار الحياة.

أقدار الله وأمانى البشر

قبل أن أبدأ فى حكاية المعركة الكبيرة لإثبات الذات، وهى معركة دخولى الإذاعة وخروج صوتى واستمراره، والمعاناة التى أرهقتنى بضع سنوات حتى حصلت على ما كنت أطالب به من حقى كإنسان، لابد أن أتوقف عند قضية القدر وكيف أن الأقدار من الله ماضية وسالكة إلى حيث يريد سبحانه، وفى نفس الوقت ـ وهكذا أرى ـ تجد عند صاحب القدر العزيمة والإيمان والإخلاص والتعلق بالأسباب حتى يحقق قدر الله فيه. ودون دخول فى التفاصيل التى يصعب الانتهاء فيها إلى رأى: هل الإنسان مُسير أم مخُير، الذى أعرفه أنك يجب عليك أن تطالب بإنسانيتك وبحقوقك فى هذه الإنسانية وبحقك فى الحياة، بحقك فى العمل، بحقك فى أخذ دورك. ستجد العصابات البشرية تريد أن تحول بينك وبين هذا الحق، وهذا طبيعى فى الحياة، هذه سنة الدفع فادفع كما يدفعون ولن تعدم نورًا على الطريق، وقم مرة بعد مرة وحاول حتى تحقق قدر الله الذى أراده لك وفيك.

ومما استوقفنى أن قدر الله فى بعض الحالات يكون خرقًا للأسباب، فمهن كثيرة يبدو لمن يعرفها أنها مستحيلة على بعض الناس أو هكذا يظن الناس لأول وهلة، وإذا بمن يُظَنُّ أنها مستحيلة عليهم يتفوقون فيها، بل ويصبحون فيها علامات. ولأن المجتمعات المتحضرة تتيح

للجميع نفس الفرص، تجد أن فاقد السبب المعروف للنجاح فى شىء ما تجده يصنع بديلًا ويهيأه ويرسم طريقة عمله، فيصبح ملء السمع والبصر وتجده يحظى بالاحترام والتبجيل الواجب، ليس كذلك فحسب وإنما يتقلد ما يستحقه من مناصب ومسئوليات هو قادر على القيام بها.. وضربنا مثلًا بدافيد بلانكيد الوزير البريطانى للداخلية والتربية الكفيف وغيره كثير، لذلك على الإنسان أن يبحث عن قدر الله فيه وأن يجاهد فى سبيل تحقيقه. لابد له من الحلم ولابد له فى نفس الوقت من قراءة الواقع وقراءة تفاصيله ومحاولة تذليل كل الصعاب، حتى ينجح وحتى يثبت لنفسه أنه قادر، وأن يحارب فى سبيل ماهو مؤمن به من أن القدر هو ما يستطيع تحقيقه وما يقدر أن يسبر غوره وأن يعرف مدى أعماقه، ولا ينظر إلى أصحاب الهمم الهامدة المستكينة ولا أصحاب النفوذ الذين يقعدونه عن بلوغ مرامه وهدفه، لأنه لو استسلم يكون مشاركًا لهم فيما يعتقدون من وهم السلطة المؤقتة..

هذا ما فهمته فى هذه الفترة الصعبة التى مررت بها، لم يدر بخلدى أبدًا أننى لست قادرًا على أن أكون مذيعًا ناجحًا، ذلك لأننى درست الموضوع جيدًا وهذا ما سأحكيه فى الفصل القادم. فإذا كان الصوت الذى لاعيب فيه متوافرًا، وكذلك اللغة التى ترفع ما يقوله الصوت من مفاهيم والعلم الذى يساعد على القيام بالمهمة خير قيام والعقل الذى أعان صاحبه أن يكون متفوقًا فى كل منتهى ينتهى إليه فى دراسته الجامعية وما قبل الجامعية، إذا توافر ذلك توافر ما هو مطلوب لمهنة المذيع. بقى شىء واحد غير موجود وهو ليس فاعلًا فى هذه المهنة، وهما الذراعان، ويمكن أن يستعاض عنهما بما يؤدى وظيفتهما وخصوصًا أن بهما وجودًا

يسمح بالقيام بالمهمة. إذًا لماذا يقف هذا خائرًا ولا يتحرك، لقد كانت هذه انطلاقتى الجريئة لمصافحة يد القدر الحانية، التى ربتت على كتف إنسان يؤمن بجدوى الالتجاء إليها فيما يوقن أنه حقه فى الحياة أن يكون مذيعًا، ليس فقط للتسجيل قبل الإذاعة ولكن مذيعًا للهواء مباشرة ليحقق ما أراده له القدر وما آمن به لنفسه.